

التبيان في تفسير القرآن

(449) قوله تعالى: * (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (16) وما علينا إلا البلاغ المبين (17) قالوا إنا تطيرنا بكم لنن لهم لئنا لم تنتهوا لندرجنكم ولندرسنكم منا عذاب أليم (18) قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون (19) وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) * (20) خمس آيات لما حكى الله تعالى عن أهل القرية أنهم قالوا للرسول * (إن أنتم إلا تكذبون) * في ادعائكم الرسالة على الله حكى ما أجابهم به الرسول فانهم * (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) * ووجه الاحتجاج بذلك أنه يلزمهم بقولهم الحذر من مخالفتهم والنظر في معجزاتهم ليعلموا أنهم صادقون على الله، ففي ذلك تحذير شديد. ثم قال الرسول لهم أيضا * (وما علينا إلا البلاغ المبين) * أي ليس يلزمنا أكثر من البلاغ المبين، والمعنى أنه لو جاءكم رسول غيرنا هل كان عليه إلا البلاغ؟ على حد ما بلغنا. والبلاغ مجئ الشيء إلى حد يقف عنده، بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغاً، فهو بالغ. ومنه البلاغة، ومثل البلاغ الأفهام والإيصال. والمبين صفة للبلاغ، وهو الظاهر الذي لا شبهة فيه، فقالوا لهم في الجواب عن ذلك حين عجزوا عن إيراد شبهتهم، وعدلوا عن النظر في معجزهم * (إنا تطيرنا بكم) * أي تشاء منا بكم، والتطير التشاؤم. ثم هددوهم فقالوا * (لئن لم تنتهوا) * عن